القنوات الفضائية العربية ورهانات مجتمع المعلومات

د/عزيز لعبان
(جامعة الجزائر)

« C'est à un combat sans corps qu'il faut te préparer, tel que tu puisses faire front en tout cas, combat abstrait qui, au contraire des autres s'apprend par rêverie »
Henri Michaux « Poteaux D'angles »

مدخل:

إن موضوع القنوات الفضائية العربية و مجتمع المعلومات يفرض علينا ابتداءا إيجاد العلاقة الممكنة من الناحية العملية بين المجتمعات العربية، والمجتمع الإعلامي.

لأنه وكما سنوضحه فان مفهوم المجتمع الإعلامي لا يفترض فقط وجود التكنولوجيات الحديثة للاتصال وإنما يفترض ذلك تغيرات و تحولات على المستوى الاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي، وحتى على مستوى الاقتراب المفاهيمي للواقع أو للعالم الخارجي الذي يحيط بنا.

فقد أصبح من السهل القول بأننا انتقلنا من مجتمع الصناعة إلى مجتمع المعلومات، في حين أن الواقع الذي يغطيه هذا المفهوم هو متعدد الأوجه، فبالإضافة إلى التكنولوجيات الحديثة للاتصال ذاتها فان المفهوم يتضمن تصورا و صناعة للمنتجات، وبنية المؤسسات ومختلف أدوارها، وكذا سريان المعلومات و كيفية استغلالها، و العمل، و التربية، والثقافة والإبداع الفني والعلاقات الاجتماعية...الخ، و يعتبر الانترنت مظهرا فقط من مظاهر هذا المجتمع ولا يشكل بمفرده مجتمع المعلومات.

وعليه فان الاعتماد فقط على هذا المظهر الذي هو الانترنت (إذا افترضنا انه معمّم في المجتمعات العربية، وهو ما لا يمكننا التأكّد منه) في قولنا بالانتساب إلى المجتمع الإعلامي هو عملية تبسيط ساذجة لواقع أكثر تعقيدا.

ومن جهة أخرى، فان الحديث عن وسائل الإعلام العربية في معزل عن سياقاتها الاجتماعية، يقترب أكثر إلى الإشباع الأيديولوجي منه إلى القراءة العلمية المتأنية، كالارتكاز مثلا على بعض المظاهر الصحية في الأداء الإعلامي لبعض القنوات الإعلامية العربية، واعتبارها مؤشرا يعمّم من خلاله الحكم على باقي المؤسسات الإعلامية، وإغفال مجموع الأداء الهزيل لمختلف وسائل الإعلام العربية على المستوى الداخلي في المساهمة في ضمان ولو جزئيا التداول الحر للآراء في هذه المجتمعات.

وعلى هذا سأركز من خلال هذه المداخلة على زاوية واحدة و هي زاوية إيجاد الفضاء الجديد الذي توفره التكنولوجيات الحديثة للاتصال، لوسائل الإعلام من اجل تجاوز عقبة الضغوطات المحلية في ممارسة حرة للعمل الإعلامي ، و لكن ايضا ما يمكن ان يشكله هدا من تحدي امام هده الوسائل، خاصة فيما يتعلق بالتوجه الكوني لمختلف الوسائل الاتصالية، لأننا في إطار لمجتمع الإعلامي أمام مفاهيم جديدة للمواطنة و الحرية و كيفيات ممارستها، و كل هذا له انعكاسات مباشرة على ممارسات الأفراد في الواقع.
في حين أن حديثنا عن مجتمع المعلومات سيكون من الوجه الأكثر بروزا و تمثيلا لهذا المجتمع ألا و هو الانترنت والفضاء الافتراضي و هذا من خلال اتجاهين مختلفتين:

–الاتجاه الأول وهو الاتجاه الذي يربط الخطاب التكنولوجي بالخطاب الأيديولوجي وهي تعتبر مقاربة نقدية للنظرة الانبهارية إلى التكنولوجيات الحديثة للاتصال.

– الاتجاه الثاني وهو الذي يرى بان التكنولوجيات الحديثة للاتصال كفيلة لوحدها بإحداث التغيرات الاجتماعية، ومنه فكرة الحتمية التكنولوجية.

1. **مجتمع المعلومات: توجهين مختلفين لفهم مجتمع المعلومات.**

إن الحديث عن مجتمع المعلومات هو حديث أولا و قبل كل شيء عن التكنولوجيات الحديثة للاتصال، وكل ما يتبع ذلك من نقاش حول أهميتها، وعلاقتها بالمجتمع، وبمختلف التغيرات التي تحدث على المستوى الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي ،و حتى المفاهيمي. وبهذا يعود الحديث حول الانتقال من مجتمعإلى مجتمع، ومن نمط معيشي إلى نمط معيشي آخر، ومن نمط تفكيري إلى نمط تفكيري آخر، من فلسفة للحياة إلى فلسفة أخرى للحياة.

و في حديثنا حول المجتمع الإعلامي فإننا سنتعرض إلى مختلف التغيرات التي حدثت في الانتقال من المجتمع الصناعي / أو الحديث / أو الجماهيري، إلى مجتمع ما بعد الصناعة / أو ما بعد الحداثة / أو مجتمع المعلومات أو الإعلامي(و لكن على مستزى الانعكاسات و ليس البعد التاريخي التطوري). و سنقترب أكثر إلى علاقة التقنية بالمجتمع، إلا أن حديثنا عن التقنية ليس كأداة فقط، لان الحديث عن التكنولوجيات الحديثة للاتصال كأداة* يفترض ضمنيا أننا نتحدث عن شيء موضوعي، وهو ما نشك في صحته. وكما يقول Gilbert SIMONDON إن التقنية والديانة هما تنظيم لوساطتين متماثلتين، و متضاربتين، ولكنهما يشكلان زوجا واحدا لان كلاهما لا يمثل سوى مرحلة من الوساطة البدائية "1

- **ارتباط الخطاب التكنولوجي بالخطاب الإيديولوجي:**

يرى PROULX و BARDINI بان الوعد يشكل وجها أساسيا ومهما بالنسبة للخطاب التكنولوجي، لأنه لا يمثل فقط رهانا للمستقبل القريب أو البعيد، و لكن صورة الوعد تكشف لنا إرادة

" حقيقية " لإنتاج المستقبل ضد مساره الطبيعي. و هذا ما يفسر انه مع ظهور أية وسيلة تكنولوجية جديدة يصاحب ذلك بصفة آلية خطاب مثالي، و بصفة خاصة لدى أصحابه. ورأينا هذا في تجربة المجتمعات مع عدة وسائل، و الأمثلة على ذلك كثيرة.

كان SAMUEL MORSE يعلن في أواخر القرن التاسع عشر بان" التلغراف سيجعل من البلد جوارا واحدا " و هو نفس الخطاب الذي نسمعه اليوم من أن الانترنت سيجعل من العالم قرية واحدة .
حدثت نفس الظاهرة عندما ظهر الهاتف، بحيث اتجهت الخطابات المثالية تعلن بان الهاتف حقق انتصارا على المسافة و لكن أيضا على الجوار الاجتماعي (Proximité social) وظهر هذا في إحدى إعلانات BELL سنة 1923 التي كانت تعلن " إن المؤسسة قرّرت بيع شيء أكثر أهمية من المسافة، و السرعة، أو الدقة ... الهاتف يضع تقريبا كل الناس في وضعية وجها لوجه "2.
إذا من هنا فان ظهور التقنية صاحبه خطاب واعد بتغيرات جذرية على مختلف المستويات مما جعل أن مجرد الاستخدام يوهم صاحبه بأنه ينتمي إلى مرحلة / أو فترة/ أو زمن / أو عصر معين، و كأن التقنية تعفي الأفراد من أي حركة اجتماعية، فيكفيهم الاستخدام للانتماء (و هذا لاحظناه مع بروز عدة تكنولوجيات اتصالية في المجتمع و على سبيل المثال الهاتف النقال أو الجوال، فالملاحظ أن الفئات الأقل احتياجا لهذه الوسيلة هي التي سارعت إلى اقتنائه، فالعامل الأساسي كان الوضع المادي، أو إرادة الظهور بمظهر الإنسان النافذ داخل المجتمع، إضافة إلى عامل آخر و هو أن امتلاك النقال كان يعبر عن تموقع اجتماعي يعبر ضمنيا عن مكانة اجتماعية).
وإن التكنولوجيات الحديثة للاتصال لا تشذ عن هذه القاعدة، فان الحديث اليوم لا يكاد يكون إلا حول القرية الكونية، العالم الافتراضي، شبكات الاتصال... الخ و هو ما دفع بـ Armand MATTELART إلى القول بأنه في عصر نهاية الأيديولوجيات فإننا أمام أيديولوجية جديدة هي ايديولوجيةتكنولوجيات الاتصال الحديثة.
يعتبر SIMONDON التكنولوجيات الحديثة للاتصال وسائط بدائية، لأنها أعادتنا إلىالمرحلة الاتصالية لما قبل الوسيلة، فهو يرى بان الموضوعية التقنية التي أعطت إلى الوجود الشيء التقني تستمد أصولها من الذاتية الدينية، فحافظت التقنية بذلك على الخصائص الشكلية لعقدة الإنسان و العالم البدائية في حين احتفظ التدين بالخصائص الجوهرية 3 ".
من وجهة النظر هذه، يعتبر كل توجه نحو التقنية و المجتمع الافتراضي عودة إلى الوساطة السحرية التي سبقت التقنية و هذا ما يؤكدهArthur.L.Klarkeبقوله انه " لا يمكن أن نميز بين التكنولوجية المتطورة و السحر"4

إن سحر التكنولوجيات الحديثة للاتصال يكمن في وظيفتها المتمثلة في فتح فضاءات جديدة من الإمكانيات في إطار الحقائق الاجتماعية5. و من هنا و بالنسبة لهذا التوجه فان مجتمع المعلومات الذي نحصر أكثر خصائصه في الفضاء الافتراضي له وجهين:

الوجه الأول: الفضاء التكنولوجي: بحيث يكون الفضاء الافتراضي cyberespace الوجه الموضوعي لتوجه إعلامي وظيفي أداتي، و آخر اشتقاق من المحيط الأصلي الذي قد يكون الفضاء الاجتماعي أو الروحي (الديني).

الوجه الثاني: الفضاء الافتراضي cyberespace و هو العمق الذاتي المنفصل هو الآخر من محيطه الأصلي.

إن مجتمع المعلومات يعيدنا إلى العلاقة البدائية بين الإنسان و الفضاء، و إن الفضاء الذي سنعمل على احتلاله في هذه الألفية لا يمكن إلا أن يكون رمزيا، يرتبط أساسا بالإشارات والدلالات.

- **التغيرات الاجتماعية رهينة التغيرات التكنولوجيات :**

سنعرض في هذا العنصر التوجه الذي يرى بان مجتمع المعلومات ليس فقط الانترنت أو المجتمع الافتراضي، و لكن انعكاسات هذه التكنولوجيات الحديثة للاتصال على مختلف المجالات المجتمعية كالاقتصاد، و الثقافة، و السياسة. و كيف أن الانترنت لا يشكل سوى وجها فقط ممّا يسمى بمجتمع المعلومات و ليس هو ذاته مجتمع المعلومات.

إذا كانت وجهة النظر الأولى التي تحدثنا عنها في العنصر السابق، تشير إلى أن بروز التكنولوجيات الحديثة للاتصال في المجتمع، و ما تثيره من اهتمام و انتباه داخل المجتمع، يدخل في إطار تقليد قديم عرفته المجتمعات البشرية كلما شهدت قدوم مستحدث من المستحدثات التكنولوجية، و ما تثيره من خطابات إيديولوجية مطمأنة و واعدة بالنسبة لأفراد المجتمع. ثم أن العلاقة بين التكنولوجيات الحديثة و المجتمع، تعيدنا إلى علاقة قديمة بين الإنسان و محيطه، بين الإنسان و الفضاء، و هي علاقة الانبهار و السحر أمام شساعة هذا الأخير. و هو ما يعني أن هذه التكنولوجيات في منطقها و في جوهرها تعيد إنتاج علاقات قديمة، و أحاسيس قديمة، و لا تقدم من هذه الناحية على الأقل شيئا جديدا بالنسبة للإنسانية (خاصة في علاقته مع الفضاء).

أما وجهة النظر الثانية فهي تنظر إلى مجتمع المعلومات كثورة تكنولوجية تقنية بانعكاسات اجتماعية مختلفة و متعددة، فهي ترى بان الثورة التي حدثت ليست فقط تكنولوجية و لكنها ثورة في التصورات و المفاهيم التي تحدّد علاقة الأفراد بالأفراد، و علاقة الأفراد بالأشياء، و علاقة الأفراد بالوسائل التكنولوجية الحديثة، و أيضا علاقة الوسيلة بالوسيلة. فأصبحت هذه التكنولوجيات المصدر الجديد بالنسبة للمؤسسات، و المحرك الأساسي في مختلف التغيرات الاجتماعية التي تحدث، و التي يمكن أن تحدث.

إن هذه التغيرات التي نتحدث عنها جاءت بالموازاة مع انتشار واسع ومكثف للاتصال و وسائله " ليس فقط بين البشر الذين يطورون استراتيجيات اقتناء الوسائل التقنية الجديدة للاتصال (mobiles,

ordinateur de poche, assistants numériques personnels) و لكن أيضا بين هذه الأدوات ذاتها، التي أصبحت اتصالية و متدخلة بصفة كبيرة في العلاقات التبادلية بين الأشخاص، و أصبحت تحتل مكانة تكبر باستمرار في مختلف الوظائف الاجتماعية6.

يذكر " ديان اوليفي" في كتابه " الحقيقة التكنولوجية " بان التحولات التي نشهدها اليوم هي عديدة و عميقة، فالثقافة التكنولوجية تتدخل في المسائل الماهياتية للكائن الإنساني، فهي تمس بأعماق وجودنا، و هي بذلك تضطرنا إلى إعادة النظر في موقعنا و في تاريخنا، و مستقبلنا، وبنية الكون ككل. بواسطة آلات العصر الجديد نرى أشياء و حركات و ديناميكيات لم نشهدها من قبل. بواسطة هذه الآلات نشاهد الكون، و نلاحظ ماضيه "7.

إن التكنولوجيات الحديثة للاتصال تعطي لنا إمكانية النفوذ إلى عوالم جديدة لا تستطيع أجسامنا الحية النفوذ إليها و لا تستطيع تعريف محيطها فوائده و أضراره... و انطلاقا من القراءة الآلاتية (نسبة للآلة)كل بنية تسمح لنا بالقول " صحيح هذا الشيء حقيقي " تصبح لاغيه "8.

2. **القنوات الفضائية العربية بين ضيق العالم الحقيقي و سعة العالم الافتراضي:**

نتحدث في هذا الجزء من المداخلة، عن وضعية القنوات الفضائية العربية بين الواقع المحلي الضيق، و الإمكانيات التي توفرها التكنولوجيات الحديثة للاتصال بفعل الثورة الرقمية و تطور تكنولوجيا الأقمار الصناعية، التي مكنت من إنشاء قنوات فضائية كثيرة و متنوعة (كثيرة من حيث العدد و متنوعة من حيث المواضيع و الأنواع). ساهم في إحداث تغييرات على مستوى المشهد الإعلامي السمعي بصري للمجتمعات العربية، خاصة مع ظهور قنوات تمكنت من منافسة اكبر الشبكات الإعلامية العالمية.

"تكشف آخر الإحصائيات بان عدد القنوات الفضائية العربية بلغ في سنة 2004، 150 قناة أي بمعدل قناة واحدة لكل مليوني عربي، وتعد هذه النسبة تطورا كبيرا مقارنة بما كان سائدا قبل عشر سنوات حيث كانت النسبة قناة واحدة لكل 20 مليون مشاهد عربي، ومع حلول سنة 2004 أصبح كل بلد عربي يملك قناة فضائية واحدة على الأقل تقدم برامجها للمشاهد العربي عن طريق القمر الاصطناعي "عربسات" أو القمر الاصطناعي المصري" نايل سات " ولم تعرف هذه القنوات نموا فقط في عددها بل عرفت أيضا تنوعا كبيرا في طبيعتها حيث تم الانتقال بسرعة من القنوات الحكومية الجامعة إلى القنوات الموضوعاتية Thématique المتخصصة في مجال الأخبار والرياضة والموسيقى والدين و الإعلان. وتتنافس هذه القنوات على استقطاب اهتمام ومتابعة 270 مليون مشاهد عربي داخل الأقطار العربية وخارجها (9).

إن التطورات التكنولوجية التي حدثت على مستوى البث و التلقي و التفاعل و دخول الخواص مجال السمعي بصري، حطم احتكار الدول و الحكومات للجمهور، و أعطى إمكانيات للقنوات الفضائية تجاوز

العوائق المحلية و القطرية، و هذا من خلال البحث على فضاءات للتواجد خارج الأقطار التي تنتمي إليها.

ولكن مع كل هذه التغيرات التي حدثت على المستوى التقني و العددي، ما الذي تغيّر في الأداء الإعلامي.

و يمكن أن نقدم في هذا الصدد مجموعة من الملاحظات تسمح لنا بالقول بأن اغلب العوائق التي تواجه الإعلام عامة و القنوات الفضائية بصفة خاصة في المجتمعات العربية تكاد تكون بنيوية و ليست فقط وظيفية.

- **ارتباط المنظومة الإعلامية بالمنظومة الاجتماعية**

تواجد القنوات الفضائية العربية في إطار منظومة إعلامية هي نفسها تتحرك في إطار منظومة اجتماعية قيمية،

و منه، يصعب الحديث عن أنظمة إعلامية بدون الإشارة إلى الأنظمة الاجتماعية التي تؤطرها، و تشكل الوعاء الذي يؤطر الممارسات الإعلامية المختلفة. و في هذا الصدد فان هناك مجموعة من الملاحظات نقدمها حول الأنظمة الإعلامية العربية.

– أنها كأنظمة هي غير متجانسة مما يجعل الأداء الإعلامي بين هذه القنوات متباين و يبرز هذا التباين في الأجندة الإخبارية لهذه القنوات و أننا أمام أنظمة إعلامية مختلفة كل نظام يخدم أهداف الأنظمة السياسية، و يحدث هذا بصفة مباشرة.

مثال: الجزائر التي برزت فيها وسائل الإعلام نتيجة ثورة الشارع مما أعطى للصحافة دفعا في المجتمع (و هذا مع كل السلبيات التي يمكن تعدادها في مختلف الممارسات الإعلامية التي نجدها في الواقع). و من جهة أخرى، فان البلاد التي ترعرعت فيها وسائل الإعلام في كنف الأنظمة السياسية، التي جاءت نتيجة انقلابات عسكرية، أو ثورات داخل الأنظمة ذاتها، حصر هده الاخيرة في الوظائف التجنيدية و التعبوية على حد قول وليام روف.

– ما زالت النظرة إلى وسائل الإعلام نظرة وظيفية أي أن وسائل الإعلام لها قدرة معينة على إحداث التغيير، أو الاضطلاع بمختلف الوظائف التربوية و التعليمية و الثقافية و الاجتماعية، مما يجعلنا في كثير من الأحيان أننا نحملها ما لا تحتمل. و نلحظ غياب نظرة نقدية تحاول ان تعالج الإشكالات البنيوية التي تواجهها هذه القنوات في واقعا الثقافي و السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي الذي تتحرك في إطاره.

– ما زالت وسائل الإعلام في المجتمعات العربية تحافظ على بعض الخصائص التي حكمت تطورها و ظهورها، و منها خاصة أنها ارتبطت بالنخب السياسية التي وصلت إلى الحكم بعد الاستقلال، أو تلك التي قفزت عن طريق الانقلاب العسكري، فانحصرت وظيفة الصحافة في تجنيد الجماهير من اجل المشاريع التنموية المختلفة. و لكن رغم أن هذا النوع من الصحافة تضاءل دوره منذ الثمانينيات إلى

التسعينيات مع بروز المجتمعات الإعلامية الجديدة، و العولمة، و تداخل المحلي و العالمي، وإطلاع الجماهير العربية على الآخر. إلا انه في المرحلة الأخيرة عاد هدا النوع بقوة خاصة بعد حرب الخليج، و غزو العراق،(و يبرز هذا جليا في الاجندا الإخبارية لهذه القنوات) فأصبح المبرر هو المحافظة على الوجود، فتم خلق غموض بين المحافظة على الوجود (الثقافي، السيادي) و المحافظة على الأنظمة السياسية القائمة (فأصبح الحفاظ على الأنظمة الدكتاتورية أفضل من الغزو).

و كل هذه العوامل البنيوية تجعل من الصعب الحديث عن هذه القنوات الفضائية بعيدا عن هذه المعطيات.

- **التماثل في المعالجات الإخبارية:**

لم يطرأ تغيرا جوهريا في الممارسات الإعلامية لمختلف القنوات الفضائية عن ما عهدناه، رغم أن نصف القنوات الفضائية الموجودة يمتلكها خواص (بلغ عدد القنوات الفضائية العربية وحدها 115 قناة مختلفة في نمط ملكيتها (63 قناة خاصة و52 قناة حكومية) (10)، إلا أن العوامل البنيوية التي اشرنا إليها في ما سبق، تجعل الممارسة لا تتجاوز العرض الفلكلوري الدرامي دون الذهاب إلى الإشكاليات الحقيقية التي قد تهم المواطن العربي، و النتائج التي توصلت إليها بعض الدراسات° التي اهتمت بمحتويات القنوات الفضائية العربية تعطي صورة عن اهتمامات القنوات الفضائية العربية في ظل العولمة.

- تحتل النشاطات الرسمية البروتوكولية حيزا زمنيا معتبرا خاصة لدى القنوات الفضائية العمومية، فالحديث عن الرئيس، الملك، القائد و الزعيم، يعتبر قيمة إخبارية أولى و بامتياز، قيمة لا تضاهيها أية قيمة أخرى، وحتى في معالجة بعض المواضيع التي تتجاوز في أهميتها النشاطات البروتوكولية الرسمية و بكل المقاييس.
- تتكرر المعالجة الإخبارية لما يسمى" بالقضايا العربية المشتركة"- خاصة ما تعلق بالموضوع الفلسطيني-، بشكل منتظم لدى كل القنوات، لكن تخضع المعالجة لقيم و توجهات ممولو القناة و للتوجهات القطرية(برفع القاف) الرسمية، فالصناعة الإعلامية للحدث الفلسطيني لا تنطلق من أهمية المشكل من الناحية الإعلامية و السياسية، بقدر ما تتعلق بأهمية ما يقوم به رسميو هذا القطر أو ذاك من أجل هذه القضية، فالمساعدات السورية للفلسطينيين ترتبط في القيم الإخبارية مع معاناة الفلسطينيين اليومية.

3. **رهان المجتمع الإعلامي بالنسبة للقنوات الفضائية العربية**

إن ما يمكن ملاحظته من خلال ما تعرضنا إليه مما سبق، أن حظ القنوات الفضائية من التحولات التي انجرت عن التكنولوجيات الحديثة للاتصال، لا يتجاوز العوامل التكنولوجية، أي الوظيفية. في حين أن الإشكاليات المطروحة للنقاش بالنسبة لواقع هذه الفضائيات هي بنيوية أكثر مما هي وظيفية (بدون التقليل من أهمية و وظيفية تكنولوجيات الاتصال).

و إضافة إلى هذا فان التحديات التي تواجه القنوات الفضائية ليست فقط قطرية في علاقة مع الأنظمة السياسية المختلفة، و المنظومات الثقافية و الاجتماعية للبلاد العربية الموسومة بالجمود، فهي بدرجة كبيرة كونية.

- **التوجه الكوني للتلفزيون:** إن التحدي الذي تواجهه هذه القنوات هو كوني، فالفضاء الإعلامي اليوم ليس محليا و إنما هو عالمي، و التحدي العالمي إضافة إلى انه ثقافي، فهو بدرجة كبيرة تجاري اقتصادي فان " التوجه نحو التبادل الحر و تحرير السيولات الثقافية المتجاوزة للأوطان كمطلب، يعمل على دفع الحدود المفروضة من طرف المجتمع تجاه السيطرة على الفضاء العمومي من طرف المنطق التجاري"(11). و هذه العلاقة الوطيدة بين الثقافي و التجاري تجعل المعايير المستخدمة لنجاح أي منتوج ثقافي هي معايير السوق بلا منازع، و من هنا نفهم جيدا موقف الولايات المتحدة الرافض للخصوصية الثقافية في التبادلات الحرة في إطار مفاوضات "القات" «اتركوا الناس يشاهدون ما يريدون، دعوهم أحرارا في تقديراتهم، لنثق في منطقهم السليم. إن الحكم الوحيد على أي منتوج ثقافي ينبغي أن يكون نجاحه أو فشله في السوق"(12). و في ظل هذا المنطق، فان نجاح أي منتوج أو أي خطاب تلفزيوني، يتطلب أرضية اقتصادية قوية، و أن بروز أي مؤسسة إعلامية أو مجموعة اتصالية من غير البلاد المتطورة تكاد تكون غير ممكنة " فحتى عندما تبرز المجموعات الاتصالية الكبرى من بلدان مثل البرازيل (مقر مجموعة Globo) أو المكسيك (مع Télévisa) و لكن في الغالب فان هذه المجموعات تبرز من اكبر البلاد الصناعية "(13) .
- **إمكانية لتجاوز العوائق الداخلية:** توفر التكنولوجيات الحديثة للاتصال إمكانيات كبيرة لتجاوز حدود المجتمع القطري، " كانت الفضاءات المحلية و الوطنية و الدولية تعتبر مستويات مقسمة إلى أجزاء و مغلقة على بعضها البعض.و لكن من خلال تقوية التفاعل بين هذه المستويات الثلاثة، و تنظيم المؤسّسة على أساس الشبكات، جعل تصوّر الفضاءات الثلاثة باختلافاتها لاغية"(14).

وهذا جعل الانتقال مما هو محلي الى ما هو عالمي، ياخذ زمن مرورها عن طريق الشبكات الاتصالية،و هذا ما يسمح بالهروب من الرقابة المحتملة.

- **تعدد المرجعيات الثقافية :** إن التكنولوجيات الحديثة للاتصال، و بصفة خاصة المجتمعات الافتراضية التي أصبحت تتواجد بالموازاة مع الواقع المعيش في عالم الحياة اليومية، أعطت الأفراد الذين يلجئون إليها نوافذ أخرى، و مرجعيات إضافية للتعامل مع العالم الأحادي البعد الذي عرفوه فيما سبق، و هذا ما يؤكده " دانيال بونيو" بقوله"إن اللجوء إلى الافتراضي يضاعف الإشارات حول الأشياء كما يضاعف المتغيرات حول معطيات الحياة و التجربة الأولى، حيث كان الناس يعيشون عالما واحدا

فان ثقافة الافتراضي تعمل على تجزئة، و مضاعفة هذا الأخير. و إن الانتشار الذي تعرفه وسائل الاتصال يترجم اليوم بتكاثر العوالم" (15). و ينطلق هذا من معطى أساسي و هو أن هذه التكنولوجيات

الحديثة للاتصال لا يمكن أن تبقى بدون تأثير على محيطها و بصفة خاصة على أشكال المعرفة، الرباط السياسي و الاجتماعي، و على الثقافة بصفة عامة.

وهذا الواقع الجديد يفرض على القنوات الفضائية العربية تجاوز الكثير من الإشكالات المحلية لمحاولة المحافظة على وجودها كمؤسسة إعلامية ليس على المستوى المحلي، و إنما على المستوى الكوني، و هذا الذي يفسر لجوء الكثير من الفضائيات العربية إلى استنساخ البرامج التلفزيونية المسماة " تلفزيون الواقع" من الشبكات التلفزيونية العالمية و بثها في ساعات المشاهدة القصوى.

و هذا يطرح عدّة تحديات أمام هذه الفضائيات، فمن جهة لدينا متطلبات المجتمع لهذه البرامج، و من جهة أخرى هل يمكن لهذه القنوات تجاوز الاجندا العالمية في مجال البرامج التلفزيونية.

- **بروز مفاهيم جديدة خاصة بالعالم الافتراضي** : يوفر المجتمع الإعلامي للفرد اليوم مواطنة جديدة قد تجعل ولاءاته القيمية في المستقبل تتغير خاصة في وضع اتساع الهوة بين تغيرات الواقع المتسارعة، و المنظومة الثقافية و الاجتماعية، و لعلّ هذا يبرز جليا مع" التغيّر الأساسي الذي حدث في العلاقة بين المواطنين في علاقتهم بمسار كان إلى وقت قريب يظهر على انه مجرّد"(16). أي أن الأفراد كانوا مرتبطين في ولاءهم لقيم و معايير مجردة، إلا أن هذه التكنولوجيات الإعلامية و الاتصالية جعلتها مجسّدة و أكثر اتساعا، فان " النظرة الإعلامية للمجتمع هي التي بامكانها أن توهمنا بان الارتباط بالأفق الكوني يتلخص في التعرض المكثف لـ ماركات (أنواع) و معلومات، و برامج، و معطيات،و شبكات عابرة للحدود. إن الاتصال بالعالم يتم بواسطة انعكاسات التحولات التي تجري في النموذج الاقتصادي و الاجتماعي الذي يفترض اندماج المجتمعات الخصوصية في الفضاء الدولي"(17).
- **خلاصة:**

حاولنا من خلال هذه المداخلة أن نفهم القنوات الفضائية العربية من منطق نسقي، يربط بين مستويات ثلاثة هي: المؤسسات الإعلامية ذاتها، ثم السياق الاجتماعي الذي انتجها، و المعطى الكوني الذي أصبح اليوم متدخلا في كل الظواهر التي تبرز.

فإذا كانت التحديات التي كانت تواجه هذه القنوات قطرية، و مرتبطة أساسا بمجالات الحريات من حيث الحصول عليها، و الخدمة العمومية من حيث تقديمها، فإنها اليوم أمام رهانات أخرى، و على مستوى آخر، و هو بدرجة كبيرة كون،ي يتجاوز الحدود و الأوطان، و هو يرتبط أكثر بالبعد الأدائي الخيالي أي إمكانية مزاحمة الشبكات العالمية في صناعة الخيال.

إن ما تقدمه التكنولوجيات الحديثة للاتصال من إمكانيات وظيفية للقنوات الفضائية العربية، يقابله عدم قدرة على تغيير بنية هذه المؤسسات، التي نمت في ظروف الولاء و الصراعات، و لقد أثبتت الدراسات التي أرّخت للوسيلة، أن مختلف وسائل الاتصال الجماهيرية بقيت محتفظة بالخصائص التي ميّزتها أثناء بروزها.

ان ما يمكّنه المجتمع الإعلامي من فضاءات شاسعة تسمح بتجاوز المعوقات الداخلية في المجتمعات العربية المختلفة (و هذا ظهر مع بروز الفضائيات العربية خارج حدود أوطانها)، من خلال عدم الخضوع للرقابة مثلا... ، قد يشكّل في نفس الوقت تحديا بالنسبة لهذه القنوات. لأن مجتمع المعلومات المتمثل في وجهه البارز الذي هو الانترنت، و الفضاء الافتراضي، يفتح للأفراد نوافذ نحو عوالم أخرى (كونية) يرفع من مستوى متطلباته نحو وسائل الاتصال، و تصبح الاستجابة لهذه المتطلبات عملية صعبة جدا، لأن هذه المتطلبات هي خيالية بالدرجة الأولى، و إذا كانت أوربا عاجزة على مزاحمة الولايات المتحدة في صناعة الخيال، فكيف بالقنوات الفضائية العربية.

- **الهوامش:**

* إن التقنية كتقنية تعتبر موضوعية، و لكن المفارقة أننا لا نتحدث عن التقنية إلا في علاقتها بشيء ما، و هنا نتحدث عن تكنولوجيات الاتصال، فإذا كانت التكنولوجيات موضوعية فان الاتصال ليس كذالك.

- 1 **Thery Bardini et Serge Proulx. *Présentation. sociologie et sociétés*, .Vol 21. 2, 1998**

2- **Simondon Erick Davis. *Techgnosis: myth magic and mysticism in the age Of information*, 1998. p 6**

- 2 **CNRS-INFO, n 396, septembre 2001.**

- 3 **CNRS-INFO , n 396, septembre 2001**

4 و **Olivier Dyens. *la réalité technologique*.**

- 4 **Pierre Musso. *le cyberespace figure de l'utopie technologiqueréticulaire*. *InSociologie et société*, vol 212, 2000**

- 5 **Gibson william : (1988*) Neuromancien* (trad.jean Bonnefoy) Paris, j'ai lu collection « sf » p 64.**

8- **ibid....p 64**

9- التقرير النهائي لعمل فرقة البحث التابعة لقسم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر .

حول " النشرات الإخبارية في القنوات الفضائية العربية " سنة 2004.ص 14. صاحب المداخلة عضو في الفرقة.

10 – المرجع نفسه ص 16

° الدراسة نفسها

11 - **Armand Mattelart. *Vers la Communication Monde. in* Cabin Philippe. *La Communication Etat des Savoirs*. Ed sciences humaines 3em ed 2003. p**

– ibid. p37912

– ibid. p 37713

- ibid. p 38114

15 **– Daniel Bougnoux. *Introduction aux Sciences de la Communication*. Ed la découverte & syros. Paris.1998.p 60**

– Armand Mattelart. Op cit p 37916

17- **ibid. pp 380-381**